مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 3 / 16 /06/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

من فهم الفرد إلى إستراتيجية الفرد
قراءات في سوسيولوجيا الواقع التربوي والتعليمي عند ريمون بودون

From individual understanding to individual strategy
Readings in the sociology of educational reality at Raymond Boudon

د. بواب رضوان D. Bouab Redoune Bouab.redouane@yahoo.fr	علم الاجتماع التربية	مختبر علم النفس وعلوم التربية وقضايا المجتمع كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد الصديق بن يحى –جيجل - الجزائر

DOI : 10.46315/1714-010-003-017

الإرسال: 2019/06/18 **القبول**: 2020/06/11 **النشر**: 2021/06/16

ملخص: قدمت الفردانية المنهجية العديد من الإضافات لفهم ودراسة الشأن الاجتماعي والتربوي وأضحت مرجعا لكثير من الأبحاث والدراسات السوسيولوجية التي أثبتت جدواها بالنظر إلى نتائجها التى تقدمها على المستوى الميكرو-سوسيولوجي مقارنة بالمقاربات الماكرو-سوسيولوجي، حيث أتت بمفاهيم جديدة جعلت الفرد يحتل مكانة مهمة في التحليل السوسيولوجي التربوي، فهو هذا الفرد يعتبر فاعل أساسي في تشكيل وفهم الظواهر الاجتماعية والتربوية وتحليل هذه الأخيرة يكون بفهم معنى السلوكيات الفردية لهؤلاء الفاعلين، هذا الفهم يرتبط بالاستراتيجيات أو الخيارات العقلانية لكل واحد منهم في الحياة التربوية والتعليمية التي يكون لها امتدادات لصيقة بالوضع أو الأصل الاجتماعي لهؤلاء الفاعلين

الكلمات المفتاحية :المنهجية الفردانية ، الفرد ،التحليل الفعلاني ، الأصل العائلي، الإستراتيجية ، الطموح عند المتعلم.

Abstract: Methodological individuality has provided many additions to the understanding and study of social and educational issues and has become a reference for many sociological researches and studies that have proved useful in view of their results at the micro-sociological level compared to macro-sociological approaches. An important place in

the sociological educational analysis, as an actor is the basis of the formation and understanding of social phenomena and educational analysis of the latter is to understand the meaning of individual behaviors of these actors, this understanding is linked to strategies or rational choices for each of them in Educational and educational life of which have extensions closely the situation or social origin of these factors.

Keywords : individual methodology, individual , functional analysis , family origin, strategy, learner ambition.

*-المقدمة:

-إن طرح ريمون بودون(Raymond Boudon) للمقاربة الفردانية المنهجية القائمة على محورية الفرد هو طرح مؤسس وجريء خاصة في وجود النظريات الكليانية التي تسيطر على المسرح الاجتماعي، أراد من خلاله تغيير بعض الأفكار والرؤى التي كانت سائدة ،لقد حاولت

المنهجية الفردانية تقديم أجوبة عن كيفية تفسير السياقات المعقدة للظواهر الاجتماعية في علم الاجتماع، وهو ما جعلها تدعو إلى ضرورة تركيز جهود الدارسين السوسيولوجيين على أفعال وسلوكيات الفاعلين بدءا من بساطتها وصولا إلى تعقدها، وليس التركيز على المقولات الهولستية العامة، "فدراسة الظاهرة الاجتماعية لا يكون إلا من خلال الأفعال الاجتماعية الفردية، وحسب بودون لا يكون معقولا حتى على المستوى الماكرو-سوسيولوجي، إلا إذا غاص التحليل في العملاء أو الفاعلين الاجتماعيين الأكثر بساطة الذين يشكلون أنساق الترابط التي يعنى بها عالم الاجتماع"(بيار،أ،84،1992).

- إن أفعال وسلوكيات هذا الفاعل قادرة على إحداث أثر بالغ على مسار أي ظاهرة، أو بعبارة أوضح، فإن تحليل وتفسير إي ظاهرة اجتماعية أو تربوية لا يمكن قياسه حسب المنهجية الفردانية، إلا عبر الأفعال والسلوكيات الفردية وليس البنيات الاجتماعية كما ركز أصحاب المقولات الكلية كماركس (**Marx**) ودوركايم (**Durkheim**) وبعض نظرائهم والتي جعلوها السبيل الأنجع لدراسة وفهم أي مشكلة أو ظاهرة اجتماعية كانت ، كل هذه المقولات والتفسيرات يمكن توظيفها في معالجة القضايا والمشكلات التربوية أو الظواهر التي تحدث في المجال التربوي والتعليمي، من باب إلزامية فهم الأفعال التربوية والسلوكيات الفردية التي يقوم بها الفاعلون في هذا المجال ،بالإضافة إلي معرفة معاني هذه الأفعال ،هذه الأفعال تعتبر محركات أساسية وضرورية في بناء علاقة الأفراد بمؤسساتهم التربوية وتحديد خياراتهم وأهدافهم من العملية التربوية والتعليمية وذلك حسب الوضعية الاجتماعية التي تنتمي إليها العائلة ،هذه المؤسسة هي ذات قانون اجتماعي وفاعلة ومحركة لعملية الاختيار عند هؤلاء الأفراد،دون تجاهل إستراتيجياتهم ومستويات الطموح عندهم ففهم الفرد يمر عبر محطات ومنعرجات مفصلية تحدد طبيعة اختياراته واستراتيجياته الآنية والمستقبلية والتي تضمن له أدوار اجتماعية تخالف وضعه الاجتماعي السابق أو تحافظ عليه.

- إن الحقل التربوي يعمل دائما بشكل منظم ويقدم لجميع الأفراد في العملية التعليمية فرص التقدم ووضع إستراتيجيات تشرعن لوجودهم في طبقات اجتماعية معينة وتنافس وتصارع في نفس الوقت أفراد الطبقات الاجتماعية الأخرى ، من أجل تحسين الوضعية الاجتماعية والتموقع الجيد في المحيط الاجتماعي.

كل هذا سنحاول استجلاءه في بحثنا هذا من خلال عناصر بحثية تجيبنا على تساؤلاتنا التي يمكن حصرها فيما يلي:

-ما هي المكانة التي يحتلها بودون(**Boudon**) في الحقل السوسيولوجي الغربي؟

-ما هي أهم مرتكزات التحليل الفعلاني البودوني؟

-ما أهم القراءات السوسيولوجية عند بودون (Boudon) للفضاء التربوي والتعليمي ؟

1- مكانة ريمون بودون (Raymond Boudon) في الحقل السوسيولوجي الغربي:

يعرف ريمون بودون (Raymond Boudon) بأنه عالم اجتماع فرنسي، كان يدرس علم الاجتماع بجامعة بوردو، ثم عين أستاذ بجامعة باريس04 (السوربون) في عام 2002، قام بتسيير أنشطة التعليم والمخابر البحثية، وكان عضوا في جمعية فرنسا "أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية" منذ 1990 مع آلان توران Alan Turin) ، بيير بورديو (Pierre Pourdieu) ، ولديه العديد من الدراسات السوسيولوجية، وبحث في العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية والتربوي، انتقد مجموعة من المفاهيم البنيوية والماركسية...الخ وكانت طروحاته أقرب إلى الفلسفة الاجتماعية،واعتمد في بداياته على الأساليب الكيفية في معالجة الدراسات السوسيولوجية، ثم انتقل إلى تحليل هذه الدراسات وفق الأساليب الكمية والإحصائية خاصة بعد رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في ستينيات القرن الماضي.

وقد جاءت هذه المقاربة كتيار وحركة تجديدية في علم الاجتماع بزعامته ، فكانت طروحاته في غاية الأهمية والتأثير حيث خالف علماء الاجتماع الكلاسيكيين أو أصحاب المسلمات الكليانة في علم الاجتماع وتفسيرهم العام للظواهر الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية، وآتى بمسألة الفردانية (L'Individualisme) كفكرة لها تداعيات جديدة في دراسة وفهم لأي قضية اجتماعية، وكميكانيزم أساسي في التحليل السوسيولوجي.

- ورغم أسبقية العديد من علماء الاجتماع في توظيف مبدأ الفردانية واحتواء كل تحاليلهم السوسيولوجية بشكل مباشر أو غير مباشر على ذلك "كارل ماكس" التي تكلم عن نتائج المنافسة التي تدعم انعزال الفرد، و"إميل دوركايم" (Emile Durkheim) الذي طرح فكرة استقلالية الفرد معياريا وأخلاقيا، إضافة إلى تصنيف "ماكس فيبر" (Max Weber) للأفعال الإنسانية (الفعل العقلاني، الفعل العاطفي، الفعل التقليدي، الفعل الموجه)، و"ألفريدو بارتيو" (Alfredo bartillo) في تقسيمه للفعل (فعل منطقي، فعل غير منطقي)...الخ، إلا أن السوسيولوجي الفرنسي بودون (Boudon) هو الذي وظف هذا المفهوم منذ العام 1970، واشتهر بأب التيار الفرداني في علم الاجتماع وواضع أسس الفردانية المنهجية مقابل التيار الكلياني الذي كان مسيطرا في فرنسا. وقد عارض وتحدى كل التفسيرات والإيديولوجية المسيطرة التي تقصي الفرد أو الفاعل الاجتماعي من أي دور في فهم الظواهر الاجتماعية والحياة الاجتماعية عامة، حيث اعتبر هذا الفرد بأنه الأساس والمحور في فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية، وهو من الأسباب الأساسية في حدوث

الظواهر الاجتماعية. لذلك، نجده يسير في اتجاه دحض النظريات الماكرو-سوسيولوجية التي تجعل الفرد نتيجة للظواهر الاجتماعية،كما أولى الأهمية القصوى إليه وكل ما يقوم به من سلوكيات على أنها المؤثرة في الظواهر الاجتماعية.

2- **التحليل الفعلاني البودوني:**

إن مفهوم الفعل يلعب دورا رئيسيا في تحليلات بودون(Boudon) ، والفردانية المنهجية عنده هي "طريقة تهدف إلى تفسير الظواهر الاجتماعية على مرحلتين مرتبطتين عضويا، مرحلة تفسير نثبت من خلالها أن الظواهر الاجتماعية هي محصلة عملية إدماج أو تجميع أفعال فردية، ومرحلة فهم تتلخص بإدراك معنى هذه الأفعال وبعبارة أدق إيجاد الأسباب الوجيهة التي دعت الفاعلين إلى القيام بها" (بودون ،ر،فيول،ه،55،2010)

-وقد تعددت تسميات هذه المقاربة من المنهجية الفردانية إلى نظرية التحليل الفعلاني إلى نظرية الاختيار العقلاني وذلك حسب قراءات وبحوث وترجمات العديد من الباحثين لمنهج التفكير عند ريمون بودون(Raymond Boudon) ، والذي أثبت فيها الفرنسي جدارته وقدرته في تقديم النظرية كطرح مؤسس وأساسي في التراث السوسيولوجي انطلاقا من الفرد الذي دائما ما يقوم بأفعال وتصرفات عقلية وحسب نواياه وأهدافه، فهو يتبنى سلوكا عقلانيا حينما يصبح فاعلا اجتماعيا، ولفهم هذه السلوكات العقلانية المنتجة من طرف الفرد لابد من فهم الدوافع الخاصة التي دفعت الفرد للقيام بها في تلك الفترة الزمنية وفي ذلك المحيط الاجتماعي.

-إن الفرد أو الفاعل في سوسيولوجيا ريمون بودون(Raymond Boudon) من الأسباب الأساسية في حدوث الظواهر الاجتماعية، ويقول في ذلك أن شرح ظاهرة اجتماعية يعني الأخذ بعين الاعتبار دائما أنها عملية تجميع لأعمال فردية ويكون ذلك بمراعاة المسلمات التالية: (بودون،ر،2010، 87-89)

- المسلمة الأولى: وهي أن كل ظاهرة اجتماعية هي نتيجة قرارات وأعمال ومواقف ومعتقدات فردية.
- المسلمة الثانية: أن كل عمل هو قابل للفهم مبدئيا. إن مبدأ الفهم الذي يوجب اعتبار كل عمل وكأنه نتيجة دوافع ومبررات يمكن تحديدها.
- المسلمة الثالثة: أن الأعمال الفردية التي تستأثر باهتمام العلوم الاجتماعية هي تلك التي تسببت بها في الأساس مبررات قائمة في أذهان الفاعلين الاجتماعيين (الأفعال التي لها معنى) إنها مسلمة العقلانية.
- المسلمة الرابعة: أن هذه المبررات ناجمة عن وضع الشخص نتائج أعماله، كما يتصورها هو في سلم الأولويات.

- المسلمة الخامسة: تشير إلى أن الأشخاص معنيين جوهريا بما تعود به أعمالهم عليهم وعلى أقربائهم من نتائج أعمالهم (مقدار الربح أو الخسارة أو الفائدة).
- المسلمة السادسة: أن الفاعلين الاجتماعيين يقدرون النفقات والمداخيل...ويتم اختيار خط العمل الموازي لميزات التكاليف الأرباح الأكثر إيجابية.

- ووفقا لكل هذا فإن أعمال الأفراد هي أفعال في إطار براديغم الفعلانية، وكل ظاهرة اجتماعية هي نتاج لأفعال ومواقف وسلوكات الأفراد، وهذه الأفعال الفردية لابد أن يكون لها معنى وذلك حسب مبدأ الفهم أي هناك وجود لمسببات ومبررات لأي فعل اجتماعي يتم فهمها وتفسير معاني وفق مبدأ العقلانية، ويهدف هؤلاء الأفراد من خلال أفعالهم إلى تحقيق غايات ومآرب يسعون إلى الوصول إليها معتمدين في ذلك على منطق الربحية والمنفعية (الربح والخسارة)، إضافة إلى الاختيار العقلاني حيث يتصرف الفرد بعقله ونواياه، ودائما ما يفكر بشكل منطقي ويتبنى ما تمليه عليه دوافعه ومنطلقاته الخاصة به.

و"لفهم منطق سلوك الأفراد حسبه يجب الوصول إلى محاكاتهم المنطقية بإتباع فكرة العقلانية النفعية" (كابان،ف،دورتيه،ج،2010،204)، فالفاعل دائما ما يتحرك في فلك مؤسساتي واجتماعي معين، لكن فعله وسلوكه يكون مبني على معطيات وأسس معينة، ويقوم الفرد بعملية الاختيار أثناءها.

ولا ينفي بودون(Boudon) تأثير البنى والمؤسسات على الفعل الفردي، ولكن ذلك لا يعني أنه يتحدد وفقها كل اختيارات الفاعل وإنما تساهم بشكل طفيف في تحديد اختيارات الفاعل، ويقول في ذلك: "إن الذرة المنطقية للتحليل السوسيولوجي هو إذن الفاعل الفردي، وهذا الفاعل لا يتحرك في فراغ مؤسساتي واجتماعي ولكن مجرد أن يكون فعله واقعا في سياق من الضغوطات أي من الوحدات التي يجب أن يقبلها كمعطيات مفروضة عليه لايعني أنه يمكن أن نجعل من سلوكه النتيجة الحتمية لتلك الضغوطات" (boudon.r,1997. 52)

ويصر بودون(Boudon) على أن تحليل ظاهرة اجتماعية يختلف تماما عن تحليل الظواهر الاقتصادية والسياسية مثلا على اعتبار أن "خصوصية التحليل السوسيولوجي تكمن في دراسة حالات فردية، لا من خلال براد يغم استخراج المفرد من المفرد، بل من خلال نمط أو شبه نمط ممثل لبنية نظام التفاعل تنمو داخله الحالات التي ستفسر"(boudon.r,1997. 52)

فالأسباب الأساسية في حدوث الظواهر الاجتماعية هو وجود الفرد، وليس كما تراه النظريات الكليانية أو الماكروسوسيولوجية التي تجعل الفرد أسير الظواهر الاجتماعية، فالفرد وما يقوم به من تفاعلات وسلوكيات هو الحلقة المؤثرة في الظواهر الاجتماعية، و"تبعا للنزعة

الفردية المنهجية تكون اللعبة الاجتماعية هي نتيجة لتراكم السلوكيات الفردية" (كابان،ف،دورتيه،ج،2010،205)

ويمكن رؤية النزعة الفردانية التي نادى إليها بودون (Boudon) من عدة زوايا فهي قضية وواقعة اجتماعية يكون فيها الفرد فاعلا مؤثرا في الحياة الاجتماعية، كما أنها ذات قيمة أخلاقية حيث يسعى الفرد فيها إلى تكوين شخصيته وتنمية ذاته بعيدا من مظاهر النظرة والرؤية السلبية لأصحاب النزعة الكليانية (ضعف الاندماج، تفكك الروابط الاجتماعية، الأنانية،...الخ)، إضافة إلى أنها تعتبر مبدأ منطقي حيث أن النجاحات التي تحقق في جميع الميادين والمجالات هي نجاحات فردية أو تعود بالأساس إلى مبادرات فردية في الحياة الاجتماعية أو الحياة المهنية وأخيرا فالفردانية هي قضية منهجية حيث أن الأفراد هم المسؤولون عما يطرأ في الظواهر الاجتماعية داخل الأنظمة، وينظر إلى الفرد في ظل نسق من التفاعلات، على أنه بمثابة ذرات، دراستها وفهمها تتطلب قاعدة منهجية تعمل على تحليل هذه السلوكيات والتصرفات بإحداث قطيعة مع النظريات الكلاسيكية.

وعليه فالظاهرة الاجتماعية هي نتاج الأفعال ومعتقدات وسلوكات الأفراد يتم البحث عن معنى هذه السلوكات الفردية بإتباع مبدأ الفهم. "فجوهر التحليل وفق ما تقتضيه الفردانية المنهجية هو إذن الفهم، فهم سلوكات الأفراد قصد فهم خفايا الظاهرة والآليات المتحكمة فيها، غير أن ذلك لا يكون بمعزل عن ضغوطات الأنظمة المحيطة بالظاهرة والتي يتحرك في إطارها الأفراد إذ لا تقتضي الفردانية المنهجية أي تجزئة بما أنها لا تقصي بأي شكل من الأشكال الظواهر العلائقية مثل التأثير والنفوذ، وتؤكد على أن يفهم سلوك الفاعل بالنظر إلى وضعية ما تتحدد هي نفسها جزئيا بمتغيرات ماكروسوسيولوجية" (بن ، جنات،الفردانية في سوسيولوجيا ريمون بودون، نقلا عن موقع:،نقلا عن موقع:.(www.uluminsania.net) .

أي أن الأساس المنهجي في المنهج الفرداني البودوني هو الأفعال الفردية والتي بواسطة مبدأ الفهم يمكن تكوين معاني عن هذه الأفعال، ويمكن لهذا الفاعل أن يكون القادر على إحداث تأثير اجتماعي في سياق نسق التفاعلات الاجتماعية.

3- قراءات في سوسيولوجيا الو اقع التربوي والتعليمي عند ريمون بودون (Raymond Boudon):

- طور بودون التيار الفرداني المنهجي ونصب نفسه رائدا له، حيث تأثر بالإسهامات الفردية لماكس فيبر ودوركايم(Durkheim) و توكفيل (Tocqueville)و باريتو(bartillo) ...الخ وأعطى في ذلك للفرد الأهمية القصوى في معالجة الظواهر الاجتماعية، والفرد بالنسبة إليه هو ذرة التحليل

المنطقي وهو السبب الأساسي لكل ظاهرة اجتماعية، فالأفعال الفردية للفاعلين الاجتماعيين هي السبب في إنشاء أي ظاهرة اجتماعية، وفهم وتحليل هذه الظاهرة يكون بفهم معنى هذه السلوكات الفردية بطريقة عقلانية وتجميعها بشكل كلي حتى يتم تحليل الظاهرة الاجتماعية والحكم عليها.

ركز في هذا المنهج الفردي على الصفات الفردية للفاعلين واعتبرها الأرضية الخصبة التي ينطلق منها علماء الاجتماع في فهم وتفسير وتحليل أي ظاهرة اجتماعية، وعارض في ذلك طروحات رواد النظرية الاجتماعية الكليانية الذي كانوا يرون بأنه يمكن إهمال الصفات الفردية وعزل الأفراد في دراسة أي ظاهرة اجتماعية، وأكد على أن احتمالات فهم ظاهرة اجتماعية يكون بالعودة القيصرية إلى السلوكات الفردية للفاعلين الاجتماعيين.

إن قراءات ريمون بودون (Raymond Boudon) التربوية ارتبطت بشكل كبير بالمدرسة وعلاقتها بالمجتمع، وكل الظواهر التربوية التي تحدث في هذه المؤسسة التعليمية مثل الفشل المدرسي، الإخفاق المدرسي، النجاح المدرسي، اللامساواة المدرسية، عدم تكافؤ فرص التعليم...الخ، لها علاقة مباشرة بالخريطة الاجتماعية للفرد. وقد حاول في ذلك تفسير كل هذه الظواهر التربوية باعتبارها ظواهر اجتماعية بأنها نتائج الأفعال الفردية المرتبطة بالاختيارات العقلانية لكل واحد وكذا بالوضع الاجتماعي للفرد، والمدرسة كمؤسسة تعليمية ما هي إلا حقل لمثل هذه الإستراتيجيات الفردانية والعقلانية والفعلانية.

وفي تفسيره لظاهرة الفشل المدرسي أو النجاح المدرسي أو اللامساواة المدرسية (التحصيل والنتائج المدرسية) يرى أن ذلك يكون بالعودة إلى موقع الفرد داخل البناء الاجتماعي هو الذي يفرض على الفرد اختياراته، وبالتالي تصبح "قرارات الفرد مرتبطة بموقعه الاجتماعي وهو ما أدى به إلى القول بأن الاختلاف في مجالات القرارات يكون في علاقته بالوضعية الاجتماعية أو الأصل الاجتماعي" (boudon.r,1973. 213)

وعلى العكس من الماركسيين المحدثين الذين يرون أن للمدرسة دور خفي وهي إعادة إنتاج ثقافة تكون أقرب إلى ثقافة الطبقة المسيطرة، يرى بودون (Boudon) أن المدرسة لا تمارس تأثيرها على الفاعلين فيها، وهي فضاء يمارس فيه هؤلاء مجموعة من الإستراتيجيات والخيارات التي يرونها مناسبة لهم، وكلٌّ حسب أصله وانتماءه الاجتماعي.

والنظام التربوي أصلا هو نظام مرن مبني على اللامساواة في المواهب واختلاف الأصول الثقافية والانتماءات الاجتماعية، والنجاح في النظام الذي يركز على المدرسة كمؤسسة تعليمية مهمة يكون مرتبط بالخيارات العقلانية للفاعلين المدرسيين، واحتلال مكانة اجتماعية مرموقة يكون بحسن الاختيار وحسن التوجه ...الخ هذه "الخيارات التعليمية هي خيارات استثمارية منبثقة عن رؤية

مسبقة للكلفة والإيجابيات المرتبطة بمختلف الوضعيات وكيفية حساب الكلفة والعوائد المرهونة بالوضعية التي يشغلها الفاعلون في المجال الاجتماعي"(بودبزة،ن،188،2015)

وبالتالي فالفرد المتعلم في هذا الفضاء هو المسؤول المباشر عن نجاحه أو فشله وذلك حسب خياراته التي يكون لها ارتباط قوي بأصله الاجتماعي والعائلي دون إهمال طموحه الشخصي، فاختيار نوعية التخصص أو المسار المراد دراسته، أو تخصص طويل الأمد أو قصير الأمد مثلا هو اختيار له علاقة بإستراتيجية الفرد وطموحه وانتماءه العائلي، الثقافي، والاجتماعي، وقد أكد بودون (Boudon) في كتابه 'الطرائق في علم الاجتماع' أن الفاعلون النموذجيون في المؤسسة التعليمية سواءً من عائلات عمالية وعائلات من الطبقات الاجتماعية العالية هم من يقيمون مستوى الرضا حول الخيار المدرسي المراد اتخاذه (دراسات طويلة، دراسات قصيرة) آخذين بالحسبان: (بودون،ر،فيول،ه،76،2010-77)

- فوائد الوضع الاجتماعي مقيمة تبعا للمجموعة المرجع: أي المنافع التي سيجنيها الفرد إذا قرر متابعة دراسته.
- النفقات المرتبطة بتمويل الدراسات من قبل الأهل: وهي الكلفة المترتبة لقاء متابعة المسار التعليمي الطويل.
- خطر الفشل مقدّرا ابتداء من النجاح الدراسي المنصرم وعن تقدم أو تأخر الطالب في دراسته .وهي المخاطر التي قد يواجهها في حال متابعة مساره التعليمي، وتتمثل في احتمال الرسوب أو التأخر في بلوغ الأهداف أو باحتمال أن لا يجد له موقعا في الوظائف العليا التي تناسب المستوى التعليمي المحقق.

من الانطلاق من الفاعلين الأفراد الذين هم أساس الظاهرة، هؤلاء الأفراد يتصرفون وفق معطيات تخصهم ووفق وضعيتهم في البناء الاجتماعي. هذه المنهجية هي التي سمحت له في كتابه "عدم المساواة في الفرص" بفهم العلاقة بين اللامساواة الاجتماعية واللامساواة المدرسية، فسلوكات الأفراد وتصرفاتهم هي أفعال قابلة للفهم، كما اختيارات الفاعلين في المنظومة المدرسية الفرنسية هي اختيارات قابلة للملاحظة والفهم، وهي مرتبطة أصلا بمكانة الفرد وأصله الاجتماعي، وقد أكد على أن "اللامساواة تحدث في التوجهات، فالقرارات التي تؤخذ يمكن أن تكون نتيجة إستراتيجية تختلف حسب الوضعية الاجتماعية التي يحتلها (boudon.r,1975. 293-300) فهناك الفرد، ويربط بذلك بين الوضع الاجتماعي للفرد ونظام القرارات التي قد يأخذها الفرد ويقر بوجود صعوبات اجتماعية متباينة وهو ما يضاعف عدم تكافؤ الخطوط في مستوى التعلم"

فاللامساواة الاجتماعية تبدأ تعليمية وتنتهي اجتماعية، أي أن الأصل الاجتماعي للفرد أو المكانة العائلية له هو أحد المعايير المفسرة للامساواة المدرسية، لكن بودون (Boudon) يؤكد على أن هناك معايير أكثر قوة وأكثر تأثيرا وتفسيرا للامساواة المدرسية أكثر من معيار الأصل الاجتماعي للفاعل، والمدرسة حسبه كمؤسسة تعليمية "ليست المجال الذي يفرض منطقه على الفاعلين، بل هو حقل ينجز فيه الأفراد إستراتيجياتهم، أي أن اللامساواة التعليمية هي نتيجة لامتحان هذه الإستراتيجيات المختلفة للفاعلين الذين يشغلون وضعيات مختلفة في المجال الاجتماعي"(بودبزة،ن،2015،187)، فالنجاح المدرسي والوصول إلى مستويات عليا يكون تبعا للأصل الاجتماعي، حيث أن كل فئة اجتماعية تحدد الاختيارات السليمة التي تراها مناسبة للوضعية الاجتماعية التي تحتلها في البناء الاجتماعي، فالدراسات الطويلة الأمد يختص بها أبناء الطبقة البورجوازية أو الميسورة الحال أما الدراسات القصيرة الأمد فيختص بها أبناء الطبقة العاملة نتيجة لعدة اعتبارات أمكن تلخيصها من الدراسات التي قام بها بودون وتوصل إلى نتائج وهي:

3-1الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للعائلة: إن الأصول الاجتماعية والاقتصادية للأفراد الفاعلين في المنظومة التعليمية تلعب دورا كبيرا في خياراتهم وفي وضع الأهداف المراد الوصول إليها، حيث أن أبناء الطبقة العليا والتي يتمتعون بوضع اجتماعي واقتصادي مرتفع ومريح دائما ما يؤثر هذا الوضع على المستوى المدرسي عندهم، فالوسط العائلي بعلاقاته وتفاعلاته اليومية بين الآباء والأبناء يحدث العديد من الاستجابات ويمارس وظيفة اجتماعية معينة، حيث تلعب العلاقات العائلية دورا مهما في إعادة إنتاج البنيات الاجتماعية كما أن هذه العائلة تخلق نظاما وقوانين خاصة بوضعها الاجتماعي، مما يجعلها تؤثر بطريقة ما أو بأخرى في نجاحات وطموحات أفرادها التعليمية ويقول بودون (Boudon) حول ذلك: "نسجل من هذا النقد اقتراح عادي من جهة وأساسي من جهة أخرى، فالمدلول الذي يعطيه فرد ما لمستوى مدرسي معطى يتراوح حسب الوضعية الاجتماعية لهذا الفرد" (boudon.r,1973.58)

ومنه فالعائلة حسب بودون (Boudon) تلعب دورا رئيسيا في تطور نشوء اللامساواة المدرسية، والوضعية الاجتماعية له تعزز عدم تكافؤ الخطوط في التعليم، وكل عضو في هذه العائلات يسعى إلى احتلال موقع ومكانة اجتماعية تكون مناسبة ومتماشية مع الأصل العائلي.

فمقاربة الاختلاف الاجتماعي والاقتصادي للعائلة هي متغير أساسي في تفسير ظواهر الفشل المدرسي واختلاف المستويات التحصيلية والنتائج الدراسية للأفراد وعدم تكافؤ الفرص التعليمية...الخ، وبوجود العائلة فإن الفرد دائما مقيد بمجموعة من الخيارات العقلانية التي

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

يحبذها النظام العائلي ويسعى من ذلك إلى الاستثمار في الفرد وتحقيق توازنات وفوائد اقتصادية من هذه الخيارات.

وقد ركز بودون (Boudon) في دراساته على تكافؤ الفرص التعليمية والتي هي الاختلاف في احتمالات الوصول إلى المستويات التعليمية تبعا للأصل الاجتماعي، ويتمظهر ذلك بشكل كبير في نسب الحصول على البكالوريا، واختيار التخصصات في المرحلة الثانوية (علمي، أدبي) أو في المرحلة الجامعية (طب، علم الاجتماع، حقوق، إعلام آلي، المحاماة) ومن خلال الوصول إلى الدراسات العليا في الجامعة أم لا، حيث تبين في دراسة سنة 1977 أجريت بفرنسا أن 94% من التلاميذ الناجحين في البكالوريا هو من أبوين متعلمين (أساتذة، موظفين،...الخ) و5% من أبناء الحرفيين (التجار الصغار والعمال) و1% فقط لأبناء الفلاحين غير المتعلمين، وفي حالة نجاح أبناء الطبقة العامة والفقيرة فإنهم يتوجهون إلى دراسة تخصصات قصيرة المدى، أما أبناء الطبقة العليا فيتجهون إلى دراسة التخصصات طويلة المدى وذلك راجع إلى التكلفة في التكوين وطول المدة التي لا تخدم وضعيتهم ووضعية عائلاتهم، من هذا فإن اللا تكافؤ في الفرص التعليمية مردّه عاملين اثنين:

أ- الإرث الثقافي: تلعب العائلة الدور الأكبر في الحفاظ على الموروث الثقافي والاجتماعي للأبناء، وكلما تم المحافظة على هذا الموروث كلما بلغ الأبناء أعلى المستويات والمراتب وتحصلوا على أعلى الشهادات، والحصول على نتائج دراسية جيدة مرهون بالانتماء إلى وسط ميسور والذي تكون فيه معدلات النجاح أفضل من معدلات نجاح الأفراد الذين ينتمون إلى طبقات فقيرة، حيث تلعب قيم رأسمال الثقافي للعائلة دورا في تحديد الرأسمال المدرسي، لكن يبقى تأثير هذا الإرث مقترن بالسنوات التعليمية الأولى حسب بودون (Boudon) ويقول في ذلك: "بيد أن هذا التأثير يتجلى بخاصة في نقاط التفرع الدراسي الأولى، وهو يميل إلى التلاشي كلما وصل الطالب إلى المستويات الأكثر تقدما من الدراسات الجامعية" (بودون،ر،فيول،ه،2010،57)، كما أن قيم المدرسة عموما تعكس القيم الثقافية للطبقة المسيطرة، لذا نرى أبناء الطبقة العامة تكون دافعيتهم للنجاح أقل من أبناء الطبقة الغنية.

ب- تأثير الطلب للعلم: ويكون الطلب على العلم من الفئات الاجتماعية العليا والمتوسطة أكبر من الفئات الفقيرة حيث تميل العائلات الميسورة إلى الدراسات الطويلة وحث أبنائهم على ذلك، على خلاف العائلات الفقيرة التي تفضل الدراسات القصيرة المدة للانتقال مباشرة نحو الحياة العملية والتي تسمح بتحسين وضعيتهم الاجتماعية.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

3-2الطموح: يؤكد في دراساته بأن طموح الفرد له تأثير على نجاحاته وخياراته وتوصل إلى أن أبناء الطبقة الشعبية الفقيرة ينقصهم الطموح، في حين أبناء الطبقة الميسورة تجد لديهم طموح جارف للوصول إلى أعلى الرتب والمستويات التعليمية والشهادات، "حيث تفرض الوضعية الاجتماعية لعائلاتهم شكلا من أشكال الطموح المدرسي الذي يتطابق مع آماله ورغباته ومطالبه، وهؤلاء الأفراد يحددون طموحاتهم بالرجوع إلى المجموعات الاجتماعية التي ينتمون إليها" (بن عيسى،ر،37،2016)، فطموح أبناء الطبقة الاجتماعية العالية ليس الحصول على الشهادة التي تسمح لهم بالبحث عن منصب عمل لتحسين وضعيتهم الاجتماعية كما هو موجود لدى أبناء الطبقة الضعيفة، وإنما طموحهم هو الوصول إلى أرقى المناصب المرموقة اجتماعيا والتي تتلاءم مع طبقتهم في السلم الهرمي الاجتماعي وتحقيق مزيد من التميز والتفوق.

3- 3 الإستراتيجية: تعتبر مؤشر مهم لتفسير النجاح المدرسي والوصول لأعلى المستويات الاجتماعية، فالموقع الاجتماعي للفرد له "تعبير ثقافي عن إستراتيجيات خاصة تتعلق بالمستقبل والأهداف التي ترسمها العائلة لنفسها، وبذلك تكون توقعاتها وقراراتها مرتبطة بطموحاتها وآمالها ورغباتها" (boudon,r,1975. 296) هذه الإستراتيجيات والخيارات معدة مسبقا، حيث يكون القرار الواعي هو السلوك الموجه نحو تحقيق هدف يتم ضبطه بالتنسيق مع العائلة ويكون معبّرا عن الآمال والطموحات.

- إن هؤلاء "الفاعلين هم عقلانيين يضعون خيارات لمستقبلهم وأهدافهم دون نسيان الوضعية الاجتماعية التي هم فيها، فيأخذون بعين الاعتبار الفوائد (المكتسبات) والنفقات (التكلفة) والأخطار (احتمال الفشل) (بودون،ر،فيول،2010م،،57-76)، عند اتخاذ القرارات المناسبة والملائمة لطبقتهم، وذلك بغرض تحقيق مكانة أفضل بالنسبة لأبناء الطبقة العامة والحفاظ على مكانة الآباء بالنسبة لأبناء الطبقة العليا،إن ميكانيزمات القرارات العقلانية دائما تكون مقرونة بقاعدة الربح والخسارة، وكل فرد يختار توجه دراسي معين، ويقيمه بالعودة إلى الفئة الاجتماعية المرجعية التي ينتمي إليها بورديو (Pourdieu) الذي يولي أهمية كبرى للأصل الاجتماعي في تفسير ظاهرة التفاوت المدرسي فإن بودون (Boudon) يقر بذلك لكن على نحو ضعيف، حيث يرى أن طموح الأفراد الفاعلين وخياراتهم العقلانية (الإستراتيجية) وبالتنسيق مع الأصل الاجتماعي للأفراد هم أكثر المؤشرات تأثيرا وتفسيرا لهذه الظواهر المدرسية.

كما يرى أن الحل في تقليص هذا التفاوت المدرسي وعدم تكافؤ الفرص التعليمية بيد الدولة من خلال تعزيز الطابع الأهلقراطي للمدرسة، توحيد التعليم القصير والطويل،

وإلغاء بعض نقاط التفرع، وتطوير نظام المنح الدراسية من أجل الطلبة المنحدرين من وسط اجتماعي متوسط" (بودون،ر،فيول،ه،67،2010).

وعليه فإن دراسة هذه الظواهر (النجاح والفشل المدرسي، التفاوت المدرسي، عدم تكافؤ الفرص التعليمية...) وتفسيرها في هذه المقاربة أثناء التقاء نسقين: نسق المواقع الاجتماعية ونسق المساواة المدرسية، ويتم النظر إلى سلوكات الفاعلين على أنها أفعال فردية، وخيارات فردية ومنطقية لأفراد فاعلين في مجتمع مقسم إلى عدة طبقات يقومون باختياراتهم العقلانية في هذا المسار التعليمي والمدرسي الذي يعتبر سلسلة من مفترقات طرق متعاقبة، يقف الفرد وعائلته عند كل مفترق لاختيار الطريق الأنسب، هذا الاختيار يكون بناءً على الاعتبارات السالفة الذكر، حيث يتم تقييم هذه الاختيارات بالعودة إلى الأصل الاجتماعي، لنصل إلى اختيارات مختلفة تؤدي إلى نجاح أو فشل مدرسي أو تفاوت مدرسي بين هؤلاء الأفراد الفاعلين، ومن ثمة فإن التفاوت هو نتاج لتراكم قرارات فردية في كل مرحلة تعليمية، انتهى إلى وجود أبناء الطبقات العليا في مراحل دراسات عليا وأبناء الطبقات الضعيفة غالبا ما يتوقفون عن الدراسة وتقل فرصهم في الدراسات العليا، فيكون مآلهم مناصب عمل عادية، أما أبناء الطبقة الميسورة فنجدهم في مناصب نوعية وراقية وهذا ما يسمح لنا برؤية مرحلة ثانية ومكررة من التفاوت الاجتماعي.

كما حاول بودون (Boudon) إيجاد العلاقة القائمة بين بنية الهيمنة وبنية الجدارة والاستحقاق في الوسط الاجتماعي المدرسي، وتوصل إلى أن بنية الهيمنة نابعة من كفاءات الأفراد الذين منشأهم الاجتماعي المرتفع (الطبقة الاجتماعية)، في حين أن بنية الاستحقاق والجدارة فتتمثل في المستوى الدراسي الذي يحدد الانتماء الاجتماعي للأفراد حيث أن الحاصلين على نفس الشهادات المدرسية لابد أن يحصلوا على الموقع الاجتماعي المرتفع الذي يعكس مستواهم المدرسي.

لذا فإن النظام المدرسي حسب بودون (Boudon) ليس هدفه إعادة إنتاج مصلحة الطبقات العليا، بل هو محايد والتفاوت هو نتيجة لسلوكات الأفراد، واعتباراتهم هي التي تحدد خياراتهم العقلانية بالمتابعة أو التوقف وذلك بالعودة دائما إلى الوسط الاجتماعي الذي ينتمون إليه.

4- الخاتمة: إن ريمون بودون (Raymond Boudon) وضع بنفسه هذه المقاربة في الخريطة السوسيولوجية باقتدار كبير ووفق طروحات جديدة تنظر إلى الفرد بأنه جسر العبور لتفسير الظواهر الاجتماعية، ومن خلال توظيف مفاهيم كالفهم والعقلانية وأثر التجميع والآثار غير المتوقعة...الخ للنظر عبرها للظواهر الاجتماعية والتربوية وتحليلها

وتفسيرها وفق المرتكزات الفردية المنهجية، حيث قدم الإضافة النظرية والمنهجية المنتظرة والمتمثلة في :

- في اعتبار الفاعلين داخل المؤسسات الاجتماعية عامة والمؤسسات التربوية خاصة أساس فهم العديد من المشكلات الاجتماعية والتربوية ، فالأفراد في المؤسسات التربوية والتعليمية يقوم بسلوكات واختيارات عقلانية تلبي طموحاته واستراتيجياته وأهدافه الآنية والمستقبلية،

- اختيارات الفرد لها طابع استثماري منبثقة عن رؤية مسبقة للتكاليف والأخطار والعوائد والأرباح المرجوة من ذلك دون إهمال الوضعية الاجتماعية التي يحتلها هؤلاء داخل الصرح الاجتماعي،

- النجاح المدرسي أو الفشل التعليمي يرتبط دائما حسب بودون (Boudon) بالفاعلين في النسق المدرسي، فهم المسؤولون عن ذلك من خلال خياراتهم وطموحاتهم وغاياتهم المسطرة سلفا والمرهونة بالوضعية الاجتماعية التي يشغلها المتعلمون وينطلقون منها في تحديد إستراتيجيتهم وخططهم المستقبلية والتي يهدفون في جميع الأحوال إلي تحسين وضعيتهم الاجتماعية بالمقارنة مع أصلهم الاجتماعي .

- **قائمة المراجع:**

1) أنصار ،بيار.(1992) .**العلوم الاجتماعية المعاصرة**. ط1،ترجمة نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي.

2) ريمون ،بودون وريبنو، فيول.(2010). **الطرائق في علم الاجتماع**، ط1،ترجمة مروان بطش،لبنان،بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

3) ريمون ،بودون. (2010).**أبحاث في النظرية العامة في العقلانية :العمل الاجتماعي والحس المشترك**- ط1. ترجمة جورج سليمان. بيروت، لبنان.بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

4) فليب، كابان وجان ،فراسوا دورتيه. (2010).**علم الاجتماع-من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات**-.ط1 ترجمة إياس حسن،دمشق :دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع .

5) علي أسعد وطفة.(2005).**الاغتراب والأنسنة في مفهوم الفردانية: المغامرة الفكرية الفردانية في الثقافة الغربية**، مجلة تعريبا العدد28،دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.

6) بن عيسى، رابح.(2016). **عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب المدرسي**. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربية غير منشورة، جامعة محمد خيضر: بسكرة.الجزائر.

7) بودبزة، ناصر.(2015). **الواقع الاجتماعي التربوي لعائلات الطبقات الوسطى في الجزائر وإنتاج المشروع المهني لأبناءها**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر: باتنة.الجزائر.

8) زهير بن، جنات: **الفردانية في سوسيولوجيا ريمون بودون: العمق النظري والمرتكزات المنهجية**، مجلة العلوم الإنسانية، نقلا عن موقع: www.uluminsania.net

9) Raymond, Boubon) .(1973**l'inégalité des chances, la mobilité sociale dans les sociétés industrielles**, Paris :collection Armand Colim.

10) Raymond, Boubon . (1975)**mieux comprendre la relation éducation-égalité en France,** in l'éducation, les inégalités des chances dans la vie, Paris.

11) Raymond ,Boudon .(1997).**la logique du social, introduction à l'analyse sociologique,** Paris : Hachette/Pluriel.